الذكاء الاصطناعي ومستقبل وظائفنا: قراءة مبسطة في تقرير منظمة العمل الدولية ٢٠٢٦

مقدمة: هل سيعمل الروبوت مكاني؟

تخيل أنك تخوض غمار لعبة فيديو معقدة، لكن هذه المرة، اللعبة هي «المستقبل» والذكاء الاصطناعي هو اللاعب الجديد الذي انضم فجأة. هل سينافسك أم سيكون حليفك؟ يخبرنا المدير العام لمنظمة العمل الدولية في تقريره الأخير أننا نمر بمرحلة «حاسمة»؛ فالذكاء الاصطناعي ليس مجرد آلة جديدة، بل هو قوة تغير شكل العالم وطريقة تنظيم العمل بالكامل.

في هذا التقرير، يمتزج «التفاؤل بالقلق». التفاؤل بأن التكنولوجيا قد تزيد من إنتاجيتنا وتفتح أبواباً لوظائف لم نتخيلها من قبل، والقلق من أن تترك البعض خلف الركب. لكن إليك السر الذي يؤكده المدير العام: «الخيار لنا». التكنولوجيا ليست قدراً محتوماً يقرر مصيرنا، بل إن الذكاء البشري هو الذي يمسك بالبوصلة وهو الذي «يرسم المسار» ليضمن أن هذه التقنيات تعمل لصالحنا جميعاً.

مقدمة: هل سيعمل الروبوت مكاني؟

تخيل أنك تخوض غمار لعبة فيديو معقدة، لكن هذه المرة، اللعبة هي «المستقبل» والذكاء الاصطناعي هو اللاعب الجديد الذي انضم فجأة. هل سينافسك أم سيكون حليفك؟ يخبرنا المدير العام لمنظمة العمل الدولية في تقريره الأخير أننا نمر بمرحلة «حاسمة»؛ فالذكاء الاصطناعي ليس مجرد آلة جديدة، بل هو قوة تغير شكل العالم وطريقة تنظيم العمل بالكامل.

في هذا التقرير، يمتزج «التفاؤل بالقلق». التفاؤل بأن التكنولوجيا قد تزيد من إنتاجيتنا وتفتح أبواباً لوظائف لم نتخيلها من قبل، والقلق من أن تترك البعض خلف الركب. لكن إليك السر الذي يؤكده المدير العام: «الخيار لنا». التكنولوجيا ليست قدراً محتوماً يقرر مصيرنا، بل إن الذكاء البشري هو الذي يمسك بالبوصلة وهو الذي «يرسم المسار» ليضمن أن هذه التقنيات تعمل لصالحنا جميعاً.

ما هو «العمل اللائق»؟ ولماذا يهمنا الذكاء الاصطناعي؟

قبل أن نفهم التكنولوجيا، يجب أن نعرف ما الذي نحميه. هناك «قاعدة ذهبية» وردت في إعلان فيلادلفيا تقول: «العمل ليس سلعة». هذا يعني أن الإنسان حين يعمل، فهو لا يبيع وقته كمنتج في متجر، بل يمارس كرامته واستقلاليته. «العمل اللائق» هو الذي يحفظ لك هذا الحق، ويوفر لك دخلاً عادلاً وبيئة آمنة للتطور.

لماذا يثير الذكاء الاصطناعي كل هذا الجدل مقارنة بالآلات القديمة؟

- تجاوز العضلات إلى العقول: الآلات القديمة كانت تقلد قوة الإنسان اليدوية (مثل الرافعة)، أما الذكاء الاصطناعي فهو يقتحم «الأنشطة المعرفية» مثل التحليل والتواصل واتخاذ القرار.

- السرعة المذهلة: هو لا ينتظر؛ بل ينتشر بسرعة البرق في كل دول العالم في وقت واحد.

- المدير الخوارزمي: لم يعد البرنامج مجرد أداة، بل أصبح في بعض الأماكن مثل «رئيس العمل غير المرئي» الذي يراقب كل نقرة على لوحة المفاتيح، وينظم المهام، ويقيم الأداء بشكل آلي، وهو ما يسمى «الإدارة الخوارزمية».

لغة الأرقام: من هم الأكثر تأثراً؟

لنفهم من في «منطقة التغيير»، وضع التقرير أربع درجات للتعرض للذكاء الاصطناعي، ويمكننا تشبيهها هكذا:

- الدرجتان ١ و٢ (المساعد الخارق): هنا يكون الذكاء الاصطناعي مثل «مساعد ذكي» يدعمك ويزيد من مهاراتك لتؤدي عملاً أفضل.

- الدرجتان ٣ و٤ (الإمساك بعجلة القيادة): في هذه المنطقة، يمتلك الذكاء الاصطناعي القدرة على تولي معظم المهام، وهنا قد يحل محل الإنسان إذا لم ننتبه.

حقائق كبرى من التقرير:

- هناك حوالي ٨٣٤ مليون وظيفة حول العالم (أي ٢٤٪ من إجمالي الوظائف) تقع حالياً في منطقة التأثر بالذكاء الاصطناعي التوليدي.

- **فجوة النوع الاجتماعي:** وجد التقرير أن النساء أكثر عرضة للتأثر؛ ففي الدول الغنية، تتعرض ٤١٪ من وظائف النساء للتأثير مقابل ٢٨٪ فقط للرجال. والسبب أن الكثير من النساء يشغلن وظائف مكتبية وإدارية يسهل على الذكاء الاصطناعي محاكاتها، بل إن ١٠٪ من وظائف النساء تقع في «الدرجة ٤» وهي المنطقة الأكثر خطورة للاستبدال.

الفجوة الرقمية: لماذا لا يتأثر الجميع بنفس الطريقة؟

هناك خطر حقيقي يسميه التقرير «اضطراب بلا عائد». ماذا يعني ذلك؟

- **الدول الغنية:** تمتلك الإنترنت السريع والحواسيب الجبارة، لذا يمكنها استخدام الذكاء الاصطناعي لزيادة ثروتها وتطوير مؤسساتها.
- **الدول منخفضة الدخل:** قد تفقد وظائفها بسبب الذكاء الاصطناعي القادم من الخارج، لكنها لا تملك البنية التحتية (مثل الإنترنت والمناخ التقني) لتستخدم هي نفسها هذا الذكاء لبناء شركات جديدة.
- **تمركز القوة:** البيانات والقوة تتركز الآن في يد عدد قليل جداً من الشركات الكبرى والدول الغنية، مما يجعل المنافسة صعبة جداً على الدول النامية.

وصفة النجاح: كيف نسيطر على الذكاء الاصطناعي؟

لضمان أن يظل «الإنسان هو القائد» (Human-in-command)، يقترح التقرير خطة عمل تشبه «قواعد اللعبة» العادلة:

١. **التعلم مدى الحياة:** المدرسة لن تنتهي بالتخرج. سنحتاج إلى «شهادات مصغرة» ومهارات جديدة باستمرار لنعرف كيف نوجه الآلة ولا نتركها تقودنا.

٢. **الحماية الاجتماعية:** يجب أن تضمن الحكومات وجود «شبكة أمان» (مثل التأمين الصحي ودعم الدخل) لكل عامل يتأثر وظيفته بالتحول الرقمي.

٣. **الحوار الاجتماعي (اجتماع القوى الثلاث):** لا يمكن لفرد واحد أن يقرر. يجب أن يجلس الجميع على طاولة واحدة: الحكومة (بصفتها الحَكَم)، وأصحاب العمل (ملاك الفريق)، والعمال (اللاعبون)، ليقرروا معاً «قواعد اللعبة» التي تضمن توزيع المكاسب بالعدل.

٤. **حماية السلاح السري للإنسان:** يؤكد التقرير أن ذكاءنا ليس مجرد أرقام، بل هو «ملكة وجدانية» وإبداع وتعاطف. يجب أن تظل القرارات النهائية في يد البشر لضمان عدم إضعاف قدراتنا الإنسانية الجوهرية.

الخاتمة: مستقبلك بين يديك (والذكاء الاصطناعي بجانبك)

في الختام، يذكرنا تقرير منظمة العمل الدولية أن التكنولوجيا هي مجرد «وسيلة» وليست غاية في حد ذاتها. الغاية الحقيقية هي تحقيق «العدالة الاجتماعية». الذكاء الاصطناعي قد يكتب كوداً برمجياً أو يلخص تقريراً، لكنه لا يملك «القلب» الذي يشعر بالعدل، ولا «الخيال» الذي يبني أحلاماً للمجتمع.

مستقبلك لن يقرره روبوت، بل ستحدده المهارات الإنسانية التي ستصقلها، وقدرتك على المطالبة بسياسات تضع الإنسان دائماً في المركز. تذكر دائماً: الذكاء الاصطناعي موجود ليكون خادماً للعدالة البشرية، لا سيداً عليها.